الرسالة

(١ كور ١٢: ٢٧–٣١؛ ١٣: ١–٨)

يا إخوةُ أنتم جسدُ المسيح وأعضاؤه أفراداً* وقد وضع الله في الكنيسةِ أُناساً أولًا رُسلًا ثانياً أنبياءَ ثالثاً معلِّمَين ثمَّ قوَّاتٍ ثمَّ مواهبَ شفاءٍ فإغاثاتٍ فتدابيَر فأنواعَ ألسنةٍ* ألعلَّ الجميعَ رسلٌ. ألعلَّ الجميعَ أنبياءُ. ألعلَّ الجميعَ مُعلِّمون. ألعلَّ الجميعَ صانعو قوَّاتٍ* ألعلَّ للجميعِ مواهبَ الشفاءِ. ألعلَّ الجميعَ ينطِقونَ بالألسنة. ألعلَّ الجميعَ يترجمون* ولكن تنافَسوا في المواهِبِ الفُضلى وأنا أُريكم طريقاً أفضل جدًّا* إن كنتُ أنطِقُ بألسنةِ الناسِ والملائكةِ ولم تكن فيَّ المحبةُ فإنَّما أنا نحاسٌ يَطِنُّ أو صِنجٌ يرِنّ* وإن كانت لي النبوَّةُ وكنتُ أعلمُ جميعَ الأسرارِ والعلمَ كلَّهُ وإن كانَ لي الإيمانُ كلُّه حتى أنقُلَ الجبالَ ولم تكن فيَّ المحبَّةُ فلستُ بشيءٍ* وإن أطعمتُ جميعَ أموالي وأسلمتُ

نجّنا من الشرّير

تقرأ كنيستنا المقدّسة على مسامعنا، هذا الأحد، حادثة شفاء المجنونَين وإخراج الشياطين منهما في كورة الجرجسيّين. يرد هذا النصّ في الإصحاح الثّامن من الإنجيل بحسب متّى الإنجيليّ، مباشرةً بعد تهدئة الربّ يسوع للبحر العاصف، وبعد تعجُّب تلاميذه منه وقولهم: «أيّ إنسان هذا! فإنّ الرّياح والبحر جميعًا تطيعه!» (مت ٨: ٢٧).

نجد الحادثة نفسها في الإنجيل بحسب مرقس الإنجيليّ (مر ٥: ١–٢٠) والإنجيل بحسب لوقا الإنجيليّ (لو ٨: ٢٦–٣٩). يَذكر الإنجيليّ متّى أنّها حدثتْ مع شخصَين، أمّا الإنجيليّان لوقا ومرقس، فيقولان إنّها حدثتْ مع شخصٍ واحد. يُرَجَّح أن يكون الأمر حدثَ فعلًا مع شخصين، لكن يبدو أنّ أحدهما كان أشهر من الآخر، أو أنّ أحدهما كان أكثر شراسةً ووحشيّةً، فاكتفى الإنجيليّان مرقس ولوقا بذكر الشخص الأكثر شهرة.

عندما وصل الربّ يسوع إلى البرّ، استقبله المجنونان الممسوسان بالشياطين قائلَين: «ما لنا ولكَ يا يسوع ابن الله؟» (مت ٨:٢٩). لقد أعلنتِ الشّياطين أنّه ابن الله، فيما كان تلاميذه يدعونه إنسانًا، ولم يفهم النّاس أنّه إلهٌ، رغم الآيات العديدة التي اجترحها أمامهم، وسماعهم منه ما لم يسمعوه من بشر. معروفٌ أنّ الشّياطين لا تقول الحقيقة، ويقول الربّ يسوع عن الشيطان في الإنجيل بحسب يوحنّا إنّه: «كذّاب وأبو الكذّاب» (يو ٨: ٤٤). الشياطين هنا لا تبشِّر بالمسيح لأنّها عدوّة الحقّ، وتحاول عادةً فعل العكس تمامًا، عبر إيهام الناس بعدم وجود المسيح أو القول بعدم ألوهيّته. إذًا، ما الذي دفعها إلى إعلان ألوهيّته؟ لم تكن الشياطين على علم بقدوم المسيح إليها، فهي لا تعرف فِكر الله. تاليًا، لم تعرف خطّته الماضية بالتجسّد من أجل خلاص جنس البشر. هي تعلم أنّ الله متحنّن، وأنّه لا يشاء النّاس أن يهلكوا، بل أن يُقبلوا جميعًا إلى معرفة الحقّ، لكنّ الله لا يكشف قصده للشياطين.

إذًا، فوجئت الشّياطين بوصول المسيح إلى كورة الجرجسيّين، ولو

العدد ٢٦ / ٢٠١٨
الأحد ١ تموز
تذكار القديسَين الطبيبَين
قزما ودواميانوس الماقتَي الفضة
اللحن الرابع
إنجيل السَحَر الخامس

كانت على علمٍ بقدومه، لكانت هربتْ بالمجنونَين جاعلةً إيّاهما يختبئان خوفًا من سلطان الربّ عليها. نقرأ في العهد الجديد عن عدّة لقاءات بين الربّ يسوع والشياطين وانتهاره إيّاها، وكيف أنّها كانت تعترف به إلهًا، وكان هو يُسكتها ويأمرها بألّا تقول اعترافها هذا أمام أحدٍ: «آه! ما لنا ولكَ يا يسوع الناصريّ؟ أتيتَ لتهلكنا! أنا أعرفكَ من أنتَ: قدّوس الله! فانتهره يسوع قائلاً: اخرسْ! واخرجْ منه» (لو ٤: ٣٤–٣٥). ذكرنا سابقًا أنّ الشيطان كذّابٌ، ولا حاجةَ للمسيح إلى شهادةٍ من كذّاب لئلّا يتعثّر الناس من أقواله. لقد اعترفت الشياطين بابن الله لأنّها كانت تعرفه منذ خلقها عندما كانت لا تزال ملائكةً تخدمه وتسبّحه، وهي تعلم كلّ العلم أنه آتٍ ليهلكها في اليوم الأخير، لذلك فوجئتْ من قدومه باكرًا إذ قالت له: «أجئتَ إلى هنا قبل الوقت لتعذّبنا؟» (مت ٨: ٢٩). ظنّتْ أنّه قرّر أن يدينها في تلك اللّحظة. حضور المسيح، بالنسبة إليها، هو حضور الله الخالق الديّان.

طلبت الشياطين أن تدخل في قطيع الخنازير لتسبّب كراهية النّاس تجاه الربّ في هذه المنطقة فيرفضونه، إذ إنّها تفرح بأيّ أذى يصيب الإنسان. سمح الربّ للشياطين بأن تفعل ذلك لكي نفهم أنّ الشياطين لا تقدر أن تفعل شيئًا، حتى الدخول في قطيع خنازير، إلّا بإذنٍ منه. نقرأ أنّ الخنازير لم تحتمل دخول الشياطين فيها، فسقط القطيع كلّه في البحر ونفَقَ حالاً. هذا يدلّ على مدى شرّ الشياطين. لِمَ لمْ تفعل الشياطين هذا بالإنسانَين قبلاً ولم تهلكهما؟ ما حدث للمجنونَين كان أقلّ بكثيرٍ ممّا حدث للخنازير، الأمر الذي يوضح أنّ الله لم يسمح للشياطين بأن تؤذي المجنونَين إلاّ في حدودٍ معيّنة. لقد عاينّا في هذا الحدث قوّة الشياطين المهولة والمدمِّرة، تاليًا ندرك عظمة الخلاص الذي قدّمه لنا المسيح. نرى أيضًا في هذا المقطع كيف سمح الربّ يسوع بهلاك قطيع خنازير كامل من أجل إنقاذ شخصين، ليُظهر أهميّة النفس البشريّة عنده.

رفض رعاة الخنازير وسكّان المنطقة المسيح بسبب خسارتهم الماديّة، بعد أن نالوا نِعَمًا كهذه. هذا هو منطق العالم الذي يخاصم المسيح أو حتّى يرفضه بسبب أيّ خسارةٍ ماديّةٍ تلحق به. إلاّ أنّ الربّ يسوع لم يقاوم، بل انسحب بوداعة، تاركًا وراءه اللّذين شُفيا مبشّرَين يعلنان عظائم الله.

الشيطان ليس قويًّا كما يعتقد الكثيرون حتّى في يومنا هذا، إذ إنّ البعض يعتبره قوّةً خارقةً، فيما يخشاه البعض الآخر. نستنتج من هذا المقطع الانجيليّ أنّ الله أحاط كلّ إنسانٍ بعنايته الإلهيّة، وهو يصون حياتنا ويبعد عنّا كلّ أذى، ويحفظنا من الشرّير الذي يجرّبنا بحيله يوميًّا في حياتنا. فلنسلّمْ ذواتنا بالكليّة إلى العناية الإلهيّة، ولنصلّ إلى الله الآب كما علّمنا الربّ يسوع قائلين: «أبانا الذي في السّموات... نجّنا من الشرّير. آمين».

القديس أندراوس الكريتي والكتاب المقدس

تُعيِّد كنيستنا المقدّسة في ٤ تموز للقدّيس أندراوس الكريتي الذي

جسدي لأُحرَقَ ولم تكن فيَّ المحبَّةُ فلا أنتفِعُ شيئاً* المحبَّةُ تتأنّى وترفُق. المحبَّةُ لا تحسُد. المحبَّة لا تتباهى ولا تنتفِخ* ولا تأتي قباحةً ولا تلتمِسُ ما هو لها ولا تحتَدُّ ولا تظُنُّ السوءَ* ولا تفرَحُ بالظلم بل تفرحُ بالحقّ* وتحتمِلُ كلَّ شيءٍ وتُصدِّق كلَّ شيءٍ وترجو كلَّ شيءٍ وتصبرُ على كلِّ شيءٍ* المحبَّةُ لا تسقُط أبدا.

الإنجيل

(متى ٨: ٢٨–٣٤؛ ٩:١)

في ذلك الزمان لمَّا أتى يسوعُ إلى كورَةِ الجُرْجُسيينَ استقْبَلَهُ مجنونانِ خارجانِ مِنَ القبورِ شرسانِ جدًّا حتى إنَّه لم يكنْ أحدٌ يقدِرُ أن يجتازَ من تلكَ الطريق* فصاحا قائلَين ما لنا ولك يا يسوعُ ابنَ الله. أجِئتَ إلى ههنا قبل الزمانِ لِتُعذِّبنا* وكان بعيداً منهم قطيعُ خنازيرَ كثيرةٍ ترعى* فأخذ الشياطينُ يطلبون إليهِ قائلَين إن كنتَ تُخرجنا فائْذَنْ لنا أن نذهب إلى قطيعِ الخنازير* فقال لهم اذهبوا. فخرجوا وذهبوا إلى قطيعِ الخنازير. فإذا بالقطيعِ كلِّه قد وثبَ عن الجُرْفِ إلى البحرِ ومات

في المياهِ* أمَّا الرُّعاةُ فهربوا ومضوا إلى المدينةِ وأخبروا بكلّ شيءٍ وبأمرِ المجنونَين* فخرجتِ المدينةُ كلُّها للقاءِ يسوعَ. ولَمَّا رأوهُ طلبوا إليهِ أن يتحوَّل عن تخومهم* فدخل السفينةَ واجتازَ وأتى إلى مدينته.

تأمل

ينتظرنا الرب على الدوام أن نتَّحد به في المحبة ولكننا عوض ذلك ننحرف بعيداً عنه أكثر فأكثر. نحن نعرف أنه لا يمكن أن تكون هناك حياةٌ من دون محبة وهذا يعني أن لا حياة من دون الله لأن الله محبة. ولكن محبته لا يفهمها هذا العالم. المحبة التي يمنحنا إياها العالم قائمة على المعاناة والعبودية لأن أرواح الشر تتدخل فيها. فيها قدرٌ يسير من المحبة ولكنها في الغالب عبودية. تحاول أرواح الشر أن تستعبدنا فتجعلنا مُقيَّدين ببعض الأشخاص أو الأشياء لتَحول دون انطلاق قلوبنا نحو الله، ينبوع الحياة والمحبة. فهي تعرف أنها ستعجز عن الاقتراب منا إن اتحدْت قلوبنا بالله لأن الإنسان الذي وُهب النعمة، والمتَّحِد بمحبة الله، هو أيضاً تحت حماية هذه المحبة الإلهية وتعجز نعرفه من القانون الكبير الموسوم باسمه الذي نقرأه خلال صلاة النوم الكبرى في الأسبوع الأول من الصوم الكبير، وفي الخميس من الأسبوع الخامس من الصوم.

وُلد القدّيس أندراوس في دمشق سنة ٦٥٠ م. لأبوَين تقيَّين. دُفع في سن الرابعة عشرة إلى مدرسة العلوم والآداب. بعد أن أتقن دائرة العلوم، ذهب إلى أورشليم واقتبل سيرة التوحّد فعاش ببرٍّ وحُسن إرضاء لله. صار كاتب رئيس أساقفة أورشليم ثاودوسيوس، وحضر المجمع المسكوني السادس المنعقد في القسطنطينية عام ٦٨٠. سيم شمّاسًا وخدم في الكنيسة العظمى في القسطنطينيّة، ثم أصبح كاهنًا، بعدئذٍ اختاره الله ليكون رئيس أساقفة جزيرة كريت. بقي هناك يرعى المؤمنين إلى أن رقد بالربّ حوالى السنة ٧٢٠. ترك لنا عدّة مؤلّفات، لعلّ أهمّها القانون الكبير المذكور أعلاه.

«إنّ زمان حياتي قصير ومفعَم عناءً وخبثًا، لكن اقبلني بالتوبة، وادعني بالمعرفة لئلّا أصير للغريب (للشرير) قنيةً ومأكلًا، فأنت أيها السيّد ترأف عليّ» (القانون الكبير – الأودية الرابعة). يتّضح لنا من هذه الترنيمة أنّ هدف القدّيس أندراوس هو عودة الإنسان، بالتوبة، إلى أحضان الآب من خلال قراءة جيّدة لأحداث الكتاب المقدّس وتعاليمه. لذلك نراه يورد قصص العهدَين القديم والجديد وأحداثهما ليعلّم كلّ إنسان طرق التوبة والعودة إلى الملكوت المفقود. «يا نفس، ها قد أحضرت لك جميع أخبار العهد العتيق نموذجًا، فماثلي أعمال الصدّيقين المحبوبة من الله، وفُرِّي هربًا من خطايا الأشرار أيضًا»، «... واغفر لي قبل الانقضاء بواسطة التوبة والفضيلة» (الأودية الثامنة).

قرأ القدّيس أندراوس، ومعه آباء الكنيسة، الكتاب المقدّس وفسّروه على مستويات مختلفة لكي يقودوا المؤمنين نحو شركة أعمق مع المسيح. ثمّة أربعة مستويات لقراءة كلمة الله: **المستوى الحرفي**، أي القراءة الحرفيّة للكتاب وفهم معنى النص المباشر من دون الدخول في التحليل؛ **المستوى الرمزي** حيث نرى في الشخصيّات والأحداث رموزًا وصورًا للمسيح وكنيسته وقدّيسيه؛ **المستوى الأُخروي**، حيث نعاين أنّ كمال الأمور وتحقيقها هو في ملكوت السموات؛ أخيرًا، **المستوى الأخلاقي والحياتي**، الذي يستعمله القدّيس أندراوس بكثرة، ويسمح لنا برؤية شخصيّات الكتاب والأماكن كوسائل ونماذج للتوبة. نجد أنفسنا، في هذا المستوى الأخير، منغمسين في الخطيئة، لكن ثمّة شعور قوي بالرجاء، لأنّ هدف هذا المستوى هو الاتّحاد بالله وتحويل الإنسان ليعود إلى صورة الله ومثاله: «أيها المسيح إنّني قد توسّخت بالجسد وتدنّست بالروح، قد تقرَّحت (مثل أيوب) بجملتي، لكن بما أنّك الطبيب الماهر اشفِهما لي بالتوبة معًا، ارحمني، طهّرني، اغسلني، أوضحني أيها المخلّص أنقى من الثلج» (الأودية الرابعة).

مثلاً، يعالج القدّيس أندراوس موضوع حلم يعقوب ابن اسحق ابن إبراهيم، الذي رأى فيه سلَّمًا تصلُ الأرض بالسماء وعليها تصعد وتنزل ملائكة الله، ومن أعلى السلّم يتكلّم الربّ نفسه مع يعقوب. الله يشدّد يعقوب في هذا

النصّ ويمنحه الرجاء، والسلّم هي صورة والدة الإله العذراء مريم السلّم السماويّة التي بها انحدر الإله إلى البشر. ترى الكنيسة، في المستوى الأخلاقي، أنّ السلّم هي جهاد كلّ مسيحي مؤمن للاتّحاد بالله: «يا نفس، إنّ السلّم التي رآها قديمًا المعظَّم في رؤساء الآباء هي رمز من الصعود العملي والارتقاء العلمي، فإن شئتِ إذًا أن تستسيري بالعمل والعلم والثاوريّا فتجدّدي» (الأودية الرابعة). هكذا أيضًا، يصير الإثنا عشر حجرًا التي وضعها يشوع بن نون في نهر الأردن ليعبر عليها الشعب إلى أرض الميعاد، صورةً للأعمال التي على المؤمن القيام بها حتى يرتقي إلى الملكوت، أرض الميعاد الأبدي.

لعلّ قانون القدّيس أندراوس هو أفضل مدرسة لفهم المنحى الأخلاقي لنصوص الكتاب المقدّس. يفعل قدّيسنا هذا في ثلاثة محاور:

أوّلاً: التماهي مع الخطأة. يماهي القدّيس أندراوس خطاياه، ومعه القارئ، مع خطايا شخصيّات الكتاب المقدّس، لا بل يدين نفسه لأنّه أخطأ أكثر من هؤلاء: «أيّها المخلّص، لم يصرْ في العالم خطيئة واحدة ولا فعل ولا رداءة إلاّ واجترمتها أنا مخطئًا بالقول والفكر والنيّة والوضع والعزم والعمل بما لم يفعله أحدٌ قطّ» (الأودية الرابعة).

ثانيًا: نموذج الصدّيقين. يورد صور أولئك ليحفّزنا نحو التوبة والعودة إلى الأحضان الأبويّة: «يا نفس، قد أحضرت لكِ نماذج الكتاب الجديد لتقودك للتخشّع، فشابهي إذًا الصدّيقين واجنحي عن الخطأة واستعطفي المسيح بالصلوات والأصوام والطهارة والوقار» (الأودية التاسعة).

ثالثًا: رحمة الربّ. رغم إدانته نفسَه، لا يدع القدّيس أندراوس اليأس يتسرّب إلى ذاته، لأنّه يثق برحمة الله الظاهرة في الكتاب المقدّس: «المسيح تأنّس وماثلني بالبَشرة وأكمل كل المختصّات بالطبيعة باختياره خلوًّا من خطيئة، مُظهرًا لكِ يا نفس مثال وصورة تنازله... إنّ الربّ إذ صام في القفر أربعين يومًا جاع أخيرًا مُظهرًا بذلك الطبع البشري، فلا تسترخي يا نفسُ وإن غار عليك العدوّ، بل صادميه بالصلاة والصوم فيندفع عنك بالكليّة» (الأودية التاسعة).

المطلوب منّا أن نقرأ الكتاب كما قرأه القدّيس أندراوس، فلا نقرأه فقط لنرى العقائد اللاهوتيّة، بل ليكون لنا منارة تقودنا نحو التوبة والعودة إلى الآب السماوي.

قوانيننا

بما أنّ البعض يركعون في الصلاة في يوم الربّ (الأحد) وفي أيّام الخمسين (بين الفصح والعنصرة)، فلكي يكون النّظام موحَّدًا في كلّ مكان ورعيّة، رأى المجمع أن تُقام الصلوات في الآحاد وفي أيّام الخمسين ونحن منتصبون وقوفًا.

المجمع الأوّل، ٢٠

للإطلاع على أخبار الأبرشية:
www.facebook.com/metbei

أو

www.quartos.org.lb

أرواح الشر عن الاقتراب منه...

بإمكاننا جميعاً أن نكون صالحين إن اتحدنا من كلّ قلوبنا بالله ينبوع الحياة. فإنه سيمنحنا القوة لنُحبَّ أنفسَنا والقريبَ في آن. من دون الله يستحيل أن نحبَّ حتى أنفسنا. كثيرون هم الذين يصابون باليأس وفقدان الرجاء ويحاولون الانتحار لأننا من دون الله نعجز عن أن نُحبَّ أنفسنا، فكيف بالحري نحب أصدقاءنا وعائلتنا وأقاربنا، أو أعداءنا. كلُّ شيء ممكن مع الله لأنه قوَّتنا وحياتُنا. يجب أن نقدِّم قلبنا لأحد، فإن قدَّمناه إلى إنسان ما على هذا الكوكب يمكن لهذا الإنسان أن يؤذينا. كلنا نبحث عن المحبة التي لا حدود لها ولا تتبدَّل، وعن السلام الذي لا نهاية له، ولكن من يمنحنا ذلك؟ ولا حتى أهلنا ولا إخوتنا أو أخواتنا لأن كلًّا من هؤلاء يمكن أن يتخلّى عنا يوماً أو يكرهنا أو يؤذينا. لماذا؟ لأننا جميعاً محدودون في الزمان والمكان وجميعنا نحارب القوى النجسة التي تدنّس أفكارنا باستمرار.

الشيخ تداوس الصربي